اَلْمَزْمُورُ الْحَادِي وَالْخَمْسُونَ

لإِمَامِ الْمُغَنِّينَ. مَزْمُورٌ لِدَاوُدَ عِنْدَمَا جَاءَ إِلَيْهِ نَاثَانُ النَّبِيُّ بَعْدَ مَا دَخَلَ إِلَى بَثْشَبَعَ

1ارْحَمْنِي يَا اللهُ حَسَبَ رَحْمَتِكَ، حَسَبَ كَثْرَةِ رَأْفَتِكَ امْحُ مَعَاصِيَّ. 2اغْسِلْنِي كَثِيراً مِنْ إِثْمِي، وَمِنْ خَطِيَّتِي طَهِّرْنِي. 3لأَنِّي عَارِفٌ بِمَعَاصِيَّ، وَخَطِيَّتِي أَمَامِي دَائِماً. 4إِلَيْكَ وَحْدَكَ أَخْطَأْتُ، وَالشَّرَّ قُدَّامَ عَيْنَيْكَ صَنَعْتُ، لِكَيْ تَتَبَرَّرَ فِي أَقْوَالِكَ، وَتَزْكُوَ فِي قَضَائِكَ. 5هَئَنَذَا بِالإِثْمِ صُوِّرْتُ، وَبِالْخَطِيَّةِ حَبِلَتْ بِي أُمِّي.

6هَا قَدْ سُرِرْتَ بِالْحَقِّ فِي الْبَاطِنِ، فَفِي السَّرِيرَةِ تُعَرِّفُنِي حِكْمَةً. 7طَهِّرْنِي بِالزُّوفَا فَأَطْهُرَ. اغْسِلْنِي فَأَبْيَضَّ أَكْثَرَ مِنَ الثَّلْجِ. 8أَسْمِعْنِي سُرُوراً وَفَرَحاً، فَتَبْتَهِجَ عِظَامٌ سَحَقْتَهَا. 9اسْتُرْ وَجْهَكَ عَنْ خَطَايَايَ، وَامْحُ كُلَّ آثَامِي.

10قَلْباً نَقِيّاً اخْلُقْ فِيَّ يَا اللهُ، وَرُوحاً مُسْتَقِيماً جَدِّدْ فِي دَاخِلِي. 11لاَ تَطْرَحْنِي مِنْ قُدَّامِ وَجْهِكَ، وَرُوحَكَ الْقُدُّوسَ لاَ تَنْزِعْهُ مِنِّي. 12رُدَّ لِي بَهْجَةَ خَلاَصِكَ، وَبِرُوحٍ مُنْتَدِبَةٍ اعْضُدْنِي. 13فَأُعَلِّمَ الأَثَمَةَ طُرُقَكَ، وَالْخُطَاةُ إِلَيْكَ يَرْجِعُونَ.

14نَجِّنِي مِنَ الدِّمَاءِ يَا اللهُ إِلَهَ خَلاَصِي، فَيُسَبِّحَ لِسَانِي بِرَّكَ. 15يَا رَبُّ افْتَحْ شَفَتَيَّ، فَيُخْبِرَ فَمِي بِتَسْبِيحِكَ. 16لأَنَّكَ لاَ تُسَرُّ بِذَبِيحَةٍ، وَإِلاَّ فَكُنْتُ أُقَدِّمُهَا. بِمُحْرَقَةٍ لاَ تَرْضَى. 17ذَبَائِحُ اللهِ هِيَ رُوحٌ مُنْكَسِرَةٌ. اَلْقَلْبُ الْمُنْكَسِرُ وَالْمُنْسَحِقُ يَا اللهُ لاَ تَحْتَقِرُهُ.

18أَحْسِنْ بِرِضَاكَ إِلَى صِهْيَوْنَ. ابْنِ أَسْوَارَ أُورُشَلِيمَ. 19حِينَئِذٍ تُسَرُّ بِذَبَائِحِ الْبِرِّ مُحْرَقَةٍ وَتَقْدِمَةٍ تَامَّةٍ. حِينَئِذٍ يُصْعِدُونَ عَلَى مَذْبَحِكَ عُجُولاً.

إليك وحدك أخطأتُ

هذا واحد من مزامير التوبة السبعة (هي 6، 32، 38، 51، 102، 130، 143). كتبه داود اعترافاً بخطية مؤلمة، انتزع فيها لنفسه نعجة الرجل الفقير، ونام فيها ضميره حتى أيقظه ناثان النبي، فاكتشف خطأه واعترف به، وقال: «قد أخطأتُ إلى الرب». فقال له ناثان: «الرب أيضاً قد نقل عنك خطيتك. لا تموت» (2صم 12: 13). وقيل عن داود: «عمل ما هو مستقيم في عيني الرب، ولم يحِدْ عن شيء مما أوصاه به كل أيام حياته، إلا في قضية أوريا الحثي» (1مل 15: 5).

وكثيراً ما يسأل الإنسان نفسه: لماذا سجَّل لنا الوحي أخطاء المؤمنين المتقدمين في الإيمان؟ ولماذا يبدأ هذا المزمور بذكر السبب السيئ الذي دعا لكتابته؟ أما كان يجب أن نخفي أخبار هذه الخطية؟ (القصة في 2صم 11). فتأتينا الإجابة:

1 – سجّل لنا الوحي هذه الخطايا ليعلّمنا أننا جميعاً خطاة. «كلنا كغنم ضللنا. ملنا كل واحد إلى طريقه» (إش 53: 6). وأن مخلّصنا الوحيد هو المسيح، الذي زار أرضنا مدة ثلاث وثلاثين سنة، لم يخطئ أبداً، ولذلك فهو الواحد الوحيد الذي يمكن أن يكون شفيعنا وغافر خطايانا، لأنه هو ذاته في غير حاجة إلى شفيع. عنه قال الإنجيل: «ليس بأحدٍ غيره

الخلاص، لأن ليس اسمٌ آخر تحت السماء قد أُعطي بين الناس به ينبغي أن نخلص» (أع 4: 12). هو الذي قدَّم نفسه عنا فديةً وكفارةً فوجد لنا فداءً أبدياً (عب 7: 25-28).

2 – يريد الله أن يشجعنا، فلا توجد خطية أكبر من أن تُغفر بفضل كفارة المسيح. فإن كانت خطايانا كالقرمز تبيضُّ كالثلج، وإن كانت حمراء كالدودي تصير كالصوف (إش 1: 18). والله أمينٌ لحبه وعادلٌ لقضائه، لذلك استوفى أجرة الخطية في كفارة المسيح. فإن اعترفنا له بخطايانا، واحتمينا في فدائه، يغفر لنا خطايانا ويطهرنا من كل إثم (1يو 1: 9). فلنأت إلى مخلصنا الذي قال: «لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب بل المرضى.. لم آتِ لأدعو أبراراً بل خطاة إلى التوبة» (متى 9: 12، 13).

هذا هو الإنجيل: الخبر المفرح! إن الله في محبته جاء إلينا ونحن في هوَّة خطايانا، ومدَّ لنا يد الحب. «الله كان في المسيح مصالحاً العالم لنفسه، غير حاسبٍ لهم خطاياهم» (2كو 5: 19). لم يقل إن الله يتصالح معنا، لأن الله لم يكن أبداً في خصام معنا، فالله هو الحب الغافر دائماً. لكن نحن احتجنا إلى المصالحة لأننا أخطأنا وعوّجنا المستقيم، فجاءنا في حبه الأزلي الكامل ليقدم لنا المغفرة. ومزمورنا ترتيلة نرتلها كلنا مهما أخطأنا وابتعدنا، واثقين أن الله المحب يقبل التائبين.

في هذا المزمور نجد:

أولاً – طلب التطهير من العمل الشرير (آيات 1-4)

ثانياً – طلب التطهير من الطبيعة الشريرة (آيات 5-8)

ثالثاً – عودة لطلب الغفران والتجديد (آيات 9-12)

رابعاً – عهود المرنم بعد الغفران (آيات 13-19)

أولاً ـ طلب التطهير من العمل الشرير

(آيات 1-4)

يطلب المرنم من الرب أن يغفر له وأن يطهره، لأنه معترفٌ بخطيته، تائب عنها، وهو يحتمي في رحمة الله وحدها، لأن «من يكتم خطاياه لا ينجح، ومن يُقرُّ بها ويتركها يُرحَم» (أم 28: 13)

في هذه الآيات الأربع نجد وصفاً للشر، ثم نجد علاجه:

1 ـ وصف الشر:

(أ) **إنه معصية**: «امحُ معاصيَّ» (آية 1) «لأني عارفٌ بمعاصيَّ» (آية 3). والمعصية في اللغة العبرية هي ثورة ضد الله. والعاصي هو الذي يحسب وصايا الله ظالمة، فيرتكب ما تمنعه عنه. المعصية تقول لله: أنا غير راضٍ عما وضعتَه لي من قوانين. أنا ثائرٌ ضدك!.. كانت معصية آدم أنه أكل من الشجرة المنهيِّ عنها، وجاء من نسله من يقول لله: «ابعُد عنا. بمعرفة طرقك لا نُسرّ» (أي 21: 14 و22: 17).

(ب) إنه إثم: «اغسلني كثيراً من إثمي» (آية 2) «هأنذا بالإثم صُوِّرت» (آية 5). والإثم هو العَوَج، والأعوج هو الأثيم. ونلاحظ العوَج في حالة داود، فقد خرج الجيش ليحارب بينما بقي القائد الأعلى للجيش في قصره! وعندما كان شعبه يجاهد كان هو على سطح بيته يجيل بصره في ما حوله. واشتهى ما رأى، وحاول أن يموّه، واستدعى زوج السيدة ثم أمر بقتله. واستخدم سلطانه الملكي ليحاول تغطية خطيته.

(ج) إنه خطية: «من خطيتي طهِّرني» (آية 2) «إليك وحدك أخطأت» (آية 4) «بالخطية حبلت بي أمي» (آية 5). الخطية هي أن يخطئ الإنسان الهدف فلا يصيبه. لكل منا هدف أوجدنا الله في العالم لنحقِّقه. وعندما نخطئ تحقيقه نكون قد ارتكبنا الخطية. وقد يكون سبب ذلك أننا قصيرو النظر، فلا ننظر إلى بعيد. لم يفكر داود في آثار الخطأ الذي سيرتكبه على نفسه كنبي وقائد وملك، وعلى شعبه الذي سيُصدَم في بطله، وعلى الأجيال القادمة. لقد استولت اللحظة الآنيّة على مشاعره، فلم يعد يرى ما هو أبعد مما تحت رجليه. والإنسان يخطئ الهدف أيضاً بسبب سوء التقدير، وما أكثر ما نسيء تقدير مقامنا في المسيح بعد أن أنعم علينا بالتبني فلا نقوم بما ينتظره منا (1يو 3: 1). ونسيء تقدير كرامة الإنسان الآخر الذي يجب أن نحبه كنفوسنا (مر 12: 31).

(د) إنه عمل الشر: «الشرَّ قدام عينيك صنعتُ» (آية 4). والشر هو عبور الحدود التي رسمها الله وأمرنا ألا نتعداها. وعندما نتخطاها نرتكب الشر. من المؤسف أن الجانب الآخر من السور يبدو أكثر خُضرة، والإنسان دائماً يشتهي ما ليس له، فإن «المياه المسروقة حلوة، وخبز الخفية لذيذ» (أم 9: 17). فالخطية هي التعدي (1يو 3: 4).

2 - علاج الشر: لعلاج الشر جانبان، جانب إنساني وجانب إلهي:

(أ) الجانب الإنساني: كم نحترم داود لأنه كتب هذا المزمور وكان فيه صادقاً مع نفسه ومع الله:

(1) اعترف بخطيته: «لأني عارفٌ بمعاصيَّ، وخطيتي أمامي دائماً» (آية 3). اعترف أن الخطية خطيته هو. لم يلقِ باللوم في ما ارتكب على الآخرين، ولكنه لوّم نفسه قبل كل شيء وقبل كل شخص. والإنسان الذي يريد أن يعترف للرب لا يجب أن يجيء بأعذار، بل يأتي معترفاً بخطيته في صدق حقيقي.

(2) اعترف أنه أخطأ ضد الله: «إليك وحدك أخطأت، والشر قدام عينيك صنعت» (آية 4). اعترف بعظمة الجُرم لأنه عصى وصية الله، ولم يحاول أن يُنقِص بشاعة ما فعل. ومن قبله قال يوسف الصدّيق، وهو يرفض خطية كالتي وقع فيها داود: «كيف أصنع هذا الشر العظيم وأخطئ إلى الله!» (تك 39: 9). ولا ينكر داود بهذا أنه أخطأ ضد السيدة بثشبع، وضد أوريا زوجها، وضد يوآب قائد الجيش الذي أمره أن يقتل أوريا. ولكنه اعتبر خطيته أولاً وقبل كل شيء ضد الله، لأن الذي يحب الله يحب أخاه أيضاً. ثم أنه كملكٍ اعتبر نفسه وكيلاً عن الله ليحكم بالعدل والشريعة. وعندما تعداهما اعتبر نفسه وكيلاً خائناً.

(3) واعترف بعدالة الله: «لكي تتبرر في أقوالك وتزكو في قضائك» (آية 4). إن أية عقوبة يوقِّعها الله عليه هي عدالة إلهية يستحقها، ويقبلها بغير مناقشة ولا تذمر، فلا مجال للخطأ في إعلان قضاء الله على الخاطئ، ولا في تنفيذ ذلك القضاء، كما قال اللص المصلوب التائب: «أما نحن فبعدلٍ (نُعاقَب) لأننا ننال استحقاق ما فعلنا» (لو 23: 41). وقد اقتبس الرسول بولس هذه الآية (عن الترجمة السبعينية) «لكي تتبرر في كلامك، وتغلب متى حوكمت» (رو 3: 4).

(ب) الجانب الإلهي:

(1) **رحمة الله**: «ارحمني يا الله حسب رحمتك. حسب كثرة رأفتك» (آية 1). فالغفران يتوقَّف على الرحمة وحدها، بدون أي فضل للإنسان. الرب رحيم ورؤوف، طويل الروح وكثير الرحمة. مثل ارتفاع السماوات فوق الأرض قويت رحمته على خائفيه (مز 103: 8، 11). «الله الذي هو غني في الرحمة، من أجل محبته الكثيرة التي أحبنا بها، ونحن أموات بالخطايا، أحياناً مع المسيح.. لأنكم بالنعمة مخلّصون، بالإيمان، وذلك ليس منكم. هو عطية الله. ليس من أعمال كي لا يفتخر أحد» (أف 2: 4، 5، 8، 9).

(2) **ما يعمله الله**:

(أ) **يمحو المعصية**: «امْحُ معاصيَّ» (آية 1). تُكتب الخطية في سفر الرب، ويطلب المعترف مَحْوها حتى لا تعود توجد، ليتحقَّق وعدُ الله أن كل خطية نعترف بها لا يعود يذكرها فيما بعد، لأن المسيح يسدِّد عن الخاطئ المعترف التائب ديون خطاياه، ولا يمكن أن عدالة الله تستوفي الدَّين مرتين. «إذ كنتم أمواتاً في الخطايا.. أحياكم معه، مسامحاً لكم بجميع الخطايا، إذ محا الصك الذي علينا.. الذي كان ضداً لنا» (كو 2: 13، 14). «يرحمنا. يدوس آثامنا، وتُطرح في أعماق البحر جميع خطاياهم» (مي 7: 19). فلا يحاسبنا عليها. ينسى خطايانا فلا توجد أمام عينيه، ويقول لنا: «أنا أنا هو الماحي ذنوبك لأجل نفسي. وخطاياك لا أذكرها.. قد محوتُ كغيمٍ ذنوبك، وكسحابة خطاياك. ارجع إليَّ لأني فديتك» (إش 43: 25 و44: 22). وعندما يتم هذا الرجوع بالتوبة إلى الله يقول التائب مع الملك حزقيا: «طرحتَ وراء ظهرك كل خطاياي» (إش 38: 17).

(ب) **يغسل القلب**: «اغسلني كثيراً من إثمي» (آية 2) بمعنى: انفُض عني كل خطإٍ، وأخرِج من داخلي كل ما علق بي من أقذار وشهوات، وما تخلل نسيج حياتي من شرور. وقد استوحى المرنم فكرته من طريقة تنظيف الثياب بخَبْطها على حجر إلى جوار ماء جارٍ. وهو يطالب الرب بغسل أقذار الخطية عنه مهما كان هذا مؤلماً له، فإن آلام التطهير أقل من آلام الأقذار، و«الذي يحبه الرب يؤدِّبه، ويجلد كل ابن يقبله» (عب 12: 6).

(ج) **يطهّر**: «من خطيتي طهِّرني» (آية 2). وهو تعبير مستعار من شريعة تطهير الأبرص، الذي إذا اقترب منه سليم يجب أن يصرخ: «نجس! نجس!» حتى لا يُصاب السليم بالعدوى. وعندما يكرم الله أبرصاً بالشفاء كان يأخذ من الكاهن شهادة تطهير ليقدر أن يعود إلى مجتمع الأصحّاء (لا 13). وقد شعر المرنم أنه نجسٌ كالأبرص، يحتاج إلى شفاء، وإلى إعلان ذلك الشفاء.

ثانياً ـ طلب التطهير من الطبيعة الشريرة

(آيات 5-8)

1 ـ الطبيعة الإنسانية الشريرة: «هأنذا بالإثم صُوِّرت، وبالخطية حبلت بي أمي» (آية 5). عندما ارتكب داود خطيته حاول أن يخفيها، ولما كشفها الله له أدرك شناعتها، واعترف بها وتاب عنها، وقبِل الله توبته. وفتح هذا الإدراك عينيه إلى أن خطأه لم يكن مجرد نزوة عابرة، لكنه الفساد الذي وُلد به، والكامن في طبيعته.

ولا يقصد داود أن يوجّه لوالدته أية تهمة أخلاقية، وهو القائل إنها «أَمَة الله» (مز 86: 16 و116: 16). ولا يمكن أن يكون قد رأى شراً في عملية التناسل التي خلقها الله في الإنسان وأمر أن «أثمروا واكثروا واملأوا الأرض» (تك 1:

28) ما دام هذا يتم بالطريق الصحيح، الذي يقول فيه: «ليكن الزواج مكرّماً عند كل واحد، والمضجع غير نجس» (عب 13: 4). ولكنه يرى ميوله المناقضة لمشيئة الله، كما قال إشعياء النبي: «ويلٌ لي إني هلكت، لأني إنسان نجس الشفتين، وأنا ساكنٌ بين شعب نجس الشفتين» (إش 6: 5). وكما قال الرسول بولس: «فإني أعلم أنه ليس ساكناً فيَّ، أي في جسدي، شيء صالح.. لأني لستُ أفعل الصالح الذي أريده، بل الشر الذي لست أريده فإياه أفعل!» (رو 7: 18، 19).

2 - علاج الطبيعة الإنسانية الشريرة: (آيات 6-8).

(أ) الحكمة السماوية: «ها قد سُررتَ بالحق في الباطن، ففي السريرة تعرّفني حكمة» (آية 6). لم تكن هناك حكمة في كل ما فعله داود ببتشبع، فالخطية جهالة، وهي لا تستحق الثمن المدفوع فيها. ولكن «مخافة الرب هي الحكمة، والحيدان عن الشر هو الفهم» (أي 28: 28). لقد ظل داود يؤدي كل فروض العبادة الشكلية، بغير علاقة سليمة مع الله، دون أن يدري حجم مأساته، وهذه جهالة. كانت هناك هوّة واسعة بين ما يُرضي الله وما ارتكبه، وهذه أيضاً جهالة منه. أما مسرَّة الله فهي بأمانة نيّة الإنسان وصدق مشاعره اللذين يظهران في الإخلاص الكامل إنسان القلب الخفي (1بط 3: 4) ، والعبادة الحقيقية، وليس في مجرد أداء فروض العبادة الشكلية. ولا يحصل الإنسان عليهما إلا بالحكمة «التي من فوق، فهي أولاً طاهرة، ثم مسالمة، مترفّقة، مذعنة، مملوّة رحمة وأثماراً» (يع 3: 17). فإن كان أحدنا تعوزه حكمة «فليطلب من الله الذي يعطي الجميع بسخاء ولا يعيّر، فسيُعطى له» (يع 1: 5). و«بدء الحكمة مخافة الرب، ومعرفة القدوس فَهمٌ» (أم 9: 10).

في كل مرة نتصرف تصرفاً سيئاً، أو نجرح مشاعر إنسان بكلمة قاسية، أو نؤذي أنفسنا بما نرتكبه من خطأ، نحتاج أن ندعو الله ليعرّفنا حكمة في سريرة (أعماق) نفوسنا لنُصلح الخطأ، ولا نعود إليه.

(ب) الطهارة: «طهِّرني بالزوفا فأطهُر. إغسلني فأبيضّ أكثر من الثلج» (آية 7). والزوفا نبات عشبي عطري الرائحة، ينمو على الحوائط، وكان يُستخدم في حُزم صغيرة، ويُستعمل للتطهير من البرص (لا 14: 4، 6) ومن الأوبئة (لا 14: 49، 51) وللطهارة الطقسية (عد 19: 6، 18). كما كانوا يرشّون به الدم (خر 12: 22 وعب 9: 19). وكانوا يغسلون الثياب دلالة على التطهير. ويقصد المرنم أن يطهره الله من الداخل بعمل النعمة، لا بيد كاهنٍ وطقوس. وكانت كل هذه الأعمال التطهيرية التي ذكرتها التوراة ترمز إلى التطهير بدم المسيح «حمل الله الذي يرفع خطية العالم» (يو 1: 29). ويقول المسيح عن الأتقياء الذين رفع خطيتهم: «لم ينجّسوا ثيابهم، فسيمشون معي في ثياب بيض لأنهم مستحقّون» (رؤ 3: 4).

(ج) الاستماع لصوت الرب: «أسمِعني سروراً وفرحاً فتبتهج عظامٌ سحقتها» (آية 8). وكلمات السرور والفرح هي كلمات الله التي تؤكد الحب والقبول والغفران، وعندها تبتهج العظام المنسحقة تحت تأنيب الضمير. وكم نفرح ونحن نسمع المسيح يقول: «من يُقبل إليَّ لا أخرجه خارجاً» (يو 6: 37). «تعالوا إليَّ يا جميع المتعَبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم» (مت 11: 28). «فلنتقدم بثقة إلى عرش النعمة، لكي ننال رحمة ونجد نعمة عوناً في حينه» (عب 4: 16).

ثالثاً - عودة لطلب الغفران والتجديد

(آيات 9-12)

في هذه الآيات يعود المرنم لطلب الغفران والتجديد. ويطلب من الله أربعة أمور:

1 - الستر: «استُر وجهك عن خطاياي، وامحُ كل آثامي» (آية 9). والستر والمحو هما نتيجة للكفارة والفداء. وكأن المرنم يقول: «ضع دمك عليَّ لتكفّر عني». وكلمة «كفارة» في اللغة العبرية هي «كافار» التي أُخذت منها الكلمة الإنجليزية cover وتعني الستر والتغطية.

ومهما بلغت درجة طهارة المؤمن الذي منحه الله الغفران، سيظل محتاجاً إلى المزيد من الغفران، كما قال المسيح لبطرس: «الذي قد اغتسل ليس له حاجة إلا إلى غسل رجليه، بل هو طاهر كله» (يو 13: 10). فالذي يطهِّره المسيح بكفارته هو طاهر، وصاحب موقف سليم أمام الله، ولكنه يحتاج إلى غسلٍ يومي جديد، ويحتاج أن يستر الله وجهه عن خطاياه وآثامه المتناثرة على ثوبه الأبيض. هناك خطايا وضعفات شخصية تُثقل كاهل الإنسان منا، وهناك خطايا اجتماعية تحيط بنا بسهولة. ونحتاج أن نتخلَّص منها كلها (عب 12: 1). ونشكر الله أنه دبّر لنا الخلاص والإنقاذ، فإنه «إن حرَّركم الابن فبالحقيقة تكونون أحراراً» (يو 8: 36).

2 - القلب النقي: «قلباً نقياً اخلُق فيَّ يا الله، وروحاً مستقيماً جدّد في داخلي» (آية 10). لا يكتفي المرنم بالغفران والتطهير، فيطلب من قوة الله الخالقة أن تمنحه قلباً جديداً نقياً، وأن تجدد في داخله روحاً مستقيماً، بحسب وعده: «أعطيكم قلباً جديداً، وأجعل روحاً جديدة في داخلكم، وأنزع قلب الحجر من لحمكم وأعطيكم قلب لحم، وأجعل روحي في داخلكم» (حز 36: 26، 27). وهذا ما قاله المسيح لنيقوديموس: «ينبغي أن تولدوا من فوق» (يو 3: 7). وهو ما وُصف بالقول: «إن كان أحدٌ في المسيح فهو خليقة جديدة. الأشياء العتيقة قد مضت. هوذا الكل قد صار جديداً» (2كو 5: 17).

لما يعطينا الله حكمة في «السريرة»، وهي أعماق النفس (آية 6) نفهم كلمة الله فنقول: «خبأت كلامك في قلبي لكيلا أخطئ إليك» (مز 119: 11) ونصبح مستعدين لأن يكون فينا القلب النقي المغتسل بكفارة دم المسيح، وبعمل الروح القدس، فندرك مع داود أن خطية واحدة نرتكبها تؤدي بنا إلى ارتكاب مزيد من الخطايا لنستر خطيتنا الأولى، لأن الخطية سلسلة متصلة من العوَج والإثم. ولكن عندما يخلق الله فينا القلب النقي والروح المستقيم، نسلك باستقامة بحسب قلبه.

3 - طلب استمرار عمل الروح القدس فيه: «لا تطرحني من قدام وجهك، وروحك القدوس لا تنزعه مني» (آية 11). الطرح من أمام وجه الرب هو النفي من الأرض المقدسة، ومن جماعة الرب، ومن عهده، ومن رِضاه. ويالها من عقوبة قاتلة، تجعل الإنسان ضمن الوثنيين الغرباء عن عهود الموعد، الذين لا رجاء لهم، وبلا إله في العالم (أف 2: 12). ويطلب داود أن يقيه الله هذا المصير السيئ، ليستمر ضمن جماعة الرب.

ويطلب المرنم أن يستمر الروح القدس عاملاً فيه، يبكته على خطاياه، ويجدد حياته الروحية، ويطهره ويقدسه. وكان روح الله قد فارق شاول الملك العاصي فهلك منتحراً، وكان قد حلّ على داود (1صم 16: 13، 14). فخشي داود أن يفارقه روح الرب لأنه أحزنه ولم يطِع توجيهاته، فيكون مصيره مثل مصير سابقه شاول، فطلب من الله ألا ينزع منه ذلك الروح المقدِّس.

وقد أعطى الرب المؤمنين بالمسيح مسحة الروح القدس ابتداءً من يوم الخمسين (أع 2: 4 و1يو 2: 27). وعلى المؤمنين أن يحترسوا من أن يطفئوا عمل الروح فيهم (1تس 5: 19). فلنمثُل في حضرته السماوية ليكون ماثلاً أمام

عيوننا باستمرار، يبكتنا روحه القدوس على خطايانا ويعلمنا طريقه والمسحة التي أخذناها منه هي تعلمنا كل شيء، وتذكّرنا بكل ما قاله المسيح لنا (1يو 2: 20).

4 - فرح الخلاص: «رُدّ لي بهجة خلاصك، وبروحٍ منتدبة اعضُدني» (آية 12). يطلب المرنم بهجة الخلاص التي ضاعت منه، ويطلب روحاً منتدبة تعطي الآخرين طوعاً وبسخاء، بغير إلزام من أحد. وواضح من طلب «رد بهجة الخلاص» أن المرنم لم يفقد خلاصه لما أخطأ، لكنه فقد فقط «بهجة خلاصه» فلم يُعد بعد قادراً أن يختبر أن الرب نوره وخلاصه، ولا أن يخاطبه بدالة البنين: «أحبك يا رب يا قوتي.. قرن خلاصي وملجإي» (مز 18: 1). صحيحٌ أن انتماءه للرب باقٍ وسيظل، لأن الله سبق وأنعم عليه بالتبني، وهو الذي اختاره (يو 15: 16). ولكن استمتاعه بالرب هو الذي ضاع منه بسبب الخطية التي فصلته عن متعة التواجد في حضرة الرب. «آثامكم صارت فاصلة بينكم وبين إلهكم، وخطاياكم سترت وجهه عنكم» (إش 59: 2). وعندما يردّ الرب لنا بهجة خلاصنا تكون لنا شركة دائمة ومستمرة معه، لا يعطلها شيء، فنسمع بركته: «نعمة ربنا يسوع المسيح، ومحبة الله، وشركة الروح القدس مع جميعكم» (2كو 13: 14)، وننال قوته «لأن فرح الرب هو قوتكم» (نح 8: 10).

وعندما يعطينا الرب الروح المنتدِبة نتبرَّع بسخاء، لأن المعطي المسرور يحبه الله (2كو 9: 7)، فلا نأخذ ما لا يحق لنا، بل نعطي مما أعطانا الله. أخذ داود نعجة جاره الفقير، وهو هنا يطلب أن يتغيّر إلى منتدب معطاء، يتحقق فيه الوصف: «لا يسرق السارق فيما بعد، بل بالحري يتعب عاملاً الصالح بيديه، ليكون له أن يعطي من له احتياج» (أف 4: 28).

رابعاً - عهود المرنم بعد الغفران

(آيات 13-19)

بعد أن شعر داود بخطيته طلب من الله أن يرحمه ويطهره من عمله الشرير ومن طبيعته الشريرة. ثم عاد يكرر الطلب ليحصل على الغفران والتجديد. وبعد أن اطمأن لاستجابة دعائه، أخذ يفكر في ردّ شيء بسيط من ديونه لله، لا بالكلام فقط، بل بالعمل أيضاً، فتعهد لله بأربعة أمور:

1 - تعهدٌ بالكرازة: «فأعلّم الأثمةَ طرقك، والخطاةُ إليك يرجعون» (آية 13). بعد أن شفاه الله من لوثة الخطية، أراد أن ينقذ الملوثين. لقد شاعت أخبار خطية داود في الجيش وفي كل البلاد. فهل يقدر بعد ذلك أن يعلّم الأثمةَ طريق الله فيَرجع الخطاة؟ نعم، لأن هذا واجبه وامتيازه. عندما نخطئ نختبر ضعفنا الإنساني، وندرك الحب الإلهي الذي يصفح ويغفر، فنصبح أكثر رقَّة مع الخطاة، وأكثر رأفةً مع البعيدين. فعندما نرى شخصاً يخطئ لا نهاجمه وندينه لأننا أفضل منه، بل نتعاطف معه لأننا سبق وأخطأنا كما أخطأ، واعترفنا فحصلنا على الغفران، فنقدم للمخطئ رسالة الحب الإلهي التي لا زلنا نتمتع بها، نحن و«كل الذين قبلوه، فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله، أي المؤمنون باسمه» (يو 1: 12).

إننا مطالبون أن نعطف على الخطاة الساقطين، كما أحب المسيح العشارين والخطاة الذين لا يحبهم أحد (لو 7: 34) ، لأن «من ردَّ خاطئاً عن ضلال طريقه يخلِّص نفساً من الموت، ويستر كثرة من الخطايا» (يع 5: 20). ويجب أن نطيع الوصية: «كونوا لطفاء بعضكم نحو بعض، شفوقين متسامحين كما سامحكم الله أيضاً في المسيح» (أف 4: 32). ونذهب لنتلمذ جميع الأمم (مت 28: 19).

2 - تعهدٌ بالتسبيح: «نجّني من الدماء يا الله إله خلاصي، فيسبح لساني برّك. يا رب افتح شفتيَّ فيخبر فمي بتسبيحك» (آيتا 14، 15). يطلب داود من إله خلاصه أن يؤكد له النجاة والخلاص من عقوبة الدم البريء الذي سفكه، وعندها يرتفع صوت التسبيح والتمجيد لله إله البر، الأمين لعهوده وكلمته. لقد وعد أن يغفر للمعترِف المحتمي في الفداء الإلهي العظيم، ولا بد أن يحقِّق الوعد لداود (1يو 1: 9). وسواء عاقب الله أو عفا، فهو إله البر والعدالة والأمانة. لقد انغلقت شفتا داود عن التسبيح بسبب الشعور بالذنب، فطلب من الرب الذي منحه الغفران أن يمنح شفتيه نعمة الترتيل. كان شبيهاً بالأبرص المعزول عن جماعة الرب. أما وقد رجع فسينضم مع العابدين الذين يُخبرون بفضل الذي دعاهم من الظلمة إلى نوره العجيب (1بط 2: 9).

3 - تعهدٌ بتقديم ذبيحة مقبولة: «لأنك لا تُسرّ بذبيحة، وإلا فكنت أقدّمها، بمحرقة لا ترضى. ذبائح الله هي روح منكسرة. القلب المنكسر والمنسحق يا الله لا تحتقره» (آيتا 16، 17). لم تكن في شريعة موسى ذبيحة أو محرقة عن الخطية التي يرتكبها صاحبها متعمّداً، خصوصاً خطيتي الزنا والقتل. ولو كانت هناك مثل هذه الذبائح أو المحرقات لقدَّمها داود. أما وقد غفر الله له، فإنه يشعر بالتواضع والانكسار والانسحاق أمام الله. وهو يدرك أن الله لا يحتقر القلب الخاضع التائب، الخجلان من خطيته، الذي يقف من بعيد، لا يشاء أن يرفع عينيه نحو السماء، بل يقرع على صدره قائلاً: «اللهم ارحمني أنا الخاطئ» (لو 18: 13). وهو الذي يقول: «بذبيحة وتقدمة لم تُسرّ. أذنيَّ فتحت. محرقةٌ وذبيحة خطية لم تطلب» (مز 40: 6). إنه الحزين على خطاياه وعلى خطايا الآخرين، الذي يطوّبه المسيح بالقول: «طوبى للحزانى لأنهم يتعزون» (مت 5: 4).

4 - تعهدٌ بتشجيع الشعب على العبادة: «أحسِن برضاك إلى صهيون. ابْنِ أسوار أورشليم. حينئذٍ تُسرّ بذبائح البر، محرقة وتقدمة تامة. حينئذ يُصعدون على مذبحك عجولاً» (آيتا 18، 19). لم تكن أسوار أورشليم قد اكتملت في أيام داود وسليمان، فقام كلاهما بالكثير من البناء (2صم 5: 9 و1مل 3: 1 و9: 15، 19). ولعل داود شعر أن الله ربما يمنعه من البناء بسبب خطاياه، فطلب أن يسمح له بتكملة بناء أسوار أورشليم. إنه ينتقل من الصلاة لأجل نفسه إلى الصلاة لأجل شعبه وعاصمته، القائمة على عدة تلال منها جبل صهيون. وهو يرى في سلامة العاصمة سلامة البلاد كلها. ويرى أن اكتمال البناء سيملأ قلب الشعب بالفرح، فيقدمون العجول، ذبائح برّ من قلوب بارة، وذبائح شكر وتهليل لله من قلوب شاكرة على كمال العمل، والذي سيكون مصدراً لحماية العاصمة وسكانها. وستكون هذه التسبيحات كالبخور العطر الذي يفرِّح قلب الله.

ونقدر أن نرى في طلبة داود «ابنِ أسوار أورشليم» معنى روحياً، فالخطية تهدم سور التقوى الذي يحمي النفس ويحمي الكنيسة. وعندما أخطأ داود تهدّم سورٌ روحي كبير في نفوس المعجبين به، الذين كانوا يتّخذونه مثلاً لهم، وربما هان ارتكاب الخطية في نظرهم، فطلب من الله أن يعيد إقامة هذا السور، وأن يقيم بناءً روحياً حياً من المؤمنين المتعبِّدين. وعلينا نحن أن نشترك في إقامة بيوت روحية ومادية لله في كل مكان، لترتفع تسبيحات الشكر له من كل جنبات أرضنا.

لنطلب منه أن يغفر خطايانا وأن يطهِّرنا، وعندها تتطهَّر قلوبنا وندخل في عهد مقدس مع الله، هو عهد الكرازة والعبادة وبناء كنيسته.

اَلْمَزْمُورُ الثَّانِي وَالْخَمْسُونَ

لإِمَامِ الْمُغَنِّينَ. قَصِيدَةٌ لِدَاوُدَ عِنْدَمَا جَاءَ دُوَاغُ الأَدُومِيُّ وَأَخْبَرَ شَاوُلَ وَقَالَ لَهُ: «جَاءَ دَاوُدُ إِلَى بَيْتِ أَخِيمَالِكَ».

1لِمَاذَا تَفْتَخِرُ بِالشَّرِّ أَيُّهَا الْجَبَّارُ؟ رَحْمَةُ اللهِ هِيَ كُلَّ يَوْمٍ! 2لِسَانُكَ يَخْتَرِعُ مَفَاسِدَ. كَمُوسَى مَسْنُونَةٍ يَعْمَلُ بِالْغِشِّ. 3أَحْبَبْتَ الشَّرَّ أَكْثَرَ مِنَ الْخَيْرِ، الْكَذِبَ أَكْثَرَ مِنَ التَّكَلُّمِ بِالصِّدْقِ. سِلاَهْ. 4أَحْبَبْتَ كُلَّ كَلاَمٍ مُهْلِكٍ وَلِسَانِ غِشٍّ. 5أَيْضاً يَهْدِمُكَ اللهُ إِلَى الأَبَدِ. يَخْطُفُكَ وَيَقْلَعُكَ مِنْ مَسْكَنِكَ، وَيَسْتَأْصِلُكَ مِنْ أَرْضِ الأَحْيَاءِ. سِلاَهْ. 6فَيَرَى الصِّدِّيقُونَ وَيَخَافُونَ، وَعَلَيْهِ يَضْحَكُونَ: 7«هُوَذَا الإِنْسَانُ الَّذِي لَمْ يَجْعَلِ اللهَ حِصْنَهُ، بَلِ اتَّكَلَ عَلَى كَثْرَةِ غِنَاهُ، وَاعْتَزَّ بِفَسَادِهِ».

8أَمَّا أَنَا فَمِثْلُ زَيْتُونَةٍ خَضْرَاءَ فِي بَيْتِ اللهِ. تَوَكَّلْتُ عَلَى رَحْمَةِ اللهِ إِلَى الدَّهْرِ وَالأَبَدِ. 9أَحْمَدُكَ إِلَى الدَّهْرِ لأَنَّكَ فَعَلْتَ، وَأَنْتَظِرُ اسْمَكَ فَإِنَّهُ صَالِحٌ قُدَّامَ أَتْقِيَائِكَ.

رحمة الله هي كل يوم

هناك سبعة مزامير أطلق عليها القديس أغسطينوس اسم «مزامير الطريد» (هي 7، 34، 52، 54، 56، 57، 142) كتبها داود أثناء هروبه من مطاردات الملك شاول له، متنقِّلاً من بلد إلى بلد، ومن كهف إلى كهف، وحتى إلى بلاد الفلسطينيين.

عندما يكون الإنسان طريداً تتشوَّش أفكاره ويصعب عليه أن يكتب شعراً ويضع له موسيقى. لكن قلب داود الطريد كان مُمَكّناً في الرب، احتل الله فيه مكاناً كبيراً، فكان رجل الترنيم والصلاة. ونحن نشكر الله من أجل الذين يحبون الرب حباً يملك عليهم قلوبهم، فينفعلون معه ويحدّثونه، ويشكون له همومهم، ويشرحون له ظروفهم وأحوالهم.

كتب داود هذا المزمور عندما عرف من صديقه يوناثان بن شاول أن شاول سيطارده ليقتله، ففضَّل أن يهرب إلى «جت» عاصمة الفلسطينيين، ليكون بعيداً عن متناول يد شاول. وفي الطريق إلى جت كان محتاجاً إلى طعام وإلى سيف، فذهب إلى مدينة الكهنة «نوب» والتقى بأخيمالك رئيس الكهنة، فأعطاه خبز الوجوه المقدس الذي لا يحل أكله إلا للكهنة، وأعطاه أيضاً سيف جليات (1صم 21: 1-9 ومر 2: 26). ونقل دواغ الأدومي (من نسل عيسو، وكان مشرفاً على ثروة شاول الحيوانية) خبر هذا الأمر إلى الملك، وفسَّره بأنه خيانة من الكهنة، فأمر شاول بقتلهم، وهرب داود ناجياً، واستمر شاول يطارد داود. وشعر داود بالمعاناة والضغط، مع الإحساس بالذنب، لأنه تسبَّب في قتل الكهنة الذين عاونوه، فكتب هذا المزمور.

في هذا المزمور نجد:

أولاً - حالة الشرير (آيات 1-5)

ثانياً - حالة المؤمن (آيات 6-9)

أولاً ـ حالة الشرير

(آيات 1-5)

1 ـ وصف الشرير: (آيات 1–4).

(أ) **يفتخر بالشر**: «لماذا تفتخر بالشر أيها الجبار؟ رحمة الله هي كل يوم» (آية 1). يبدأ المرنم مزموره بالاحتجاج على الشرير الذي يفتخر بشرِّه، ويذكِّره برحمة الله الدائمة، ويسأله: لماذا يفتخر؟ هل لأنه جبار متجبِّر متكبِّر يظن نفسه بطلاً؟ «ويلٌ للأبطال على شُرب الخمر!» (إش 5: 22) «لا للحق قَووا في الأرض» (إر 9: 3). إن فوق العالي عالياً يلاحظ، والأعلى فوقهما (جا 5: 8). والرب الأعلى هو الرحيم، الذي تسع رحمته الخاطئ ليتوب.

(ب) **يخترع الشر**: «لسانك يخترع مفاسد» (آية 2أ). اختراع اللسان هو الكذب. ولا يكتفي الشرير بالفخر بالشر لكنه يتحدث عنه حديث إفكٍ وكذب. وبعد وقت يصيبه الملل من تكرار الكذب الذي يردِّده، فيخترع كذباً جديداً، أكثر حماقة من الأول، لأن من فضلة القلب يتكلم الفم (مت 12: 34)، ولسان الشرير «شر لا يُضبَط مملوٌّ سماً مميتاً (يع 3: 8)، فيجرح سُمعة الأبرياء، كما جرح دواغ الأدومي سُمعة داود وأخيمالك، وتسبّب في قتل الكهنة ومطاردة داود. قال شاعر عربي:

جراحات السِّنان (السيوف) لها التئام ولا يلتام ما جرح اللسان!

(ج) **يرتكب الشر**: «كموسى مسنونة يعمل بالغش» (آية 2ب). يمزق سمعة الناس ويؤذي نفوسهم، ويجرح أجسادهم، ويصيبهم ويقطعهم.

(د) **يحب الشر**: «أحببتَ الشر أكثر من الخير، الكذب أكثر من التكلم بالصدق. أحببت كل كلام مُهلك، ولسان غش» (آيتا 3 ،4). محبة الشرير للشر والأذى أكثر من محبته للخير، وحبه للكذب أكثر من حبه للتكلم بالصدق، فهو من أبٍ هو إبليس الكذاب وأبو الكذاب (يو 8: 44). الخاطئ خاطئ بطبيعته الفاسدة، وخاطئ بما يفعله، نتيجةً لتأثير طبيعته الفاسدة.

2 ـ نهاية الشرير: «أيضاً يهدمك الله إلى الأبد، يخطفك ويقلعك من مسكنك، ويستأصلك من أرض الأحياء» (آية 5). لا بد أن يدفع الشرير أجرة خطيته. وهو ضعيف مهما كانت قوته في الشر، وليست له جذور، فلا بد أن يُقتَلع. ويذكر المرنم الأوصاف التالية لنهاية الشرير:

* «يهدمك»: يُهدَم كبناء عظيم مرتفع يتدمَّر ولا تقوم له قائمة.. كان دواغ الأدومي يشغل مركزاً مرموقاً في بلاط الملك، وكانت مكانته رفيعة، ولكنه هلك.

* «يخطفك»: كثروة ضائعة.

* «يقلعك»: كخيمة بلا أوتاد تطيِّرها الرياح!

* «يستأصلك»: كشجرة تُقتلع من الجذور، مهما تأصَّلت جذورها. «أما الأشرار فينقرضون من الأرض، والغادرون يُستَأصلون منها» (أم 2: 22).

* «إلى الأبد»: فإنه بالكيل الذي به يكيلون يُكال لهم (مت 7: 2) و«أجرة الخطية هي موت» (رو 6: 23).

ثانياً ـ حالة المؤمن

(آيات 6-9)

1 ـ ردّ فعل المؤمن لمعاقبة الشرير: (آيتا 6 و7).

(أ) **المؤمن يرى**: «فيرى الصديقون» (آية 6أ). يرون ويتأملون. وجديرٌ بالمؤمن دائماً أن لا يترك شيئاً يراه من ظروف حسنة أو سيئة دون أن يتأمله ويسأل عنه، ويفكر فيه، لأن مع الله لا يحدث شيء قط بمحض الصدفة، بل جميع أعماله مرتَّبة منذ الأزل. فلنسأل الرب: ما هو قصدك؟ ماذا ستفعل، وماذا تريدني أن أفعل؟ لماذا أدخلتني في أتون النار؟ لماذا سبّبتَ لي الخسارة؟ لماذا ضاع أملي؟

(ب) **المؤمن يخاف**: «يخافون» (آية 6ب). يعلم المؤمن أن الله حي وموجود، وأنه لن يترك شيئاً بدون مجازاة، خيراً كان أم شراً، فيتَّقي الرب من كل قلبه. وهناك فرق بين خوف الأشرار من الرب وخوف المؤمنين للرب، فالأشرار يخافون من العقاب، أما المؤمنون فيهابون الله ويحترمونه، وهذا «رأس الحكمة».

(ج) **المؤمن يضحك**: «وعليه يضحكون» (آية 6ج). لا ضحك التشفّي في ما حلَّ بالشرير من عقاب، بل ضحك الفرح بالعدالة الإلهية. «عادلةٌ وحقٌّ هي طرقك يا ملك القديسين» (رؤ 15: 3). (د) **المؤمن يتعلم**: «هوذا الإنسان الذي لم يجعل الله حصنه، بل اتكل على كثرة غناه، واعتزَّ بفساده» (آية 7). يتعلم المؤمن من عقاب الأشرار أن الشر يميت الشرير «لأنه ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه، أو ماذا يعطي الإنسان فداءً عن نفسه؟» (مت 16: 26). لقد أثمرت أرض الغني الغبي وكثُرت محاصيله، ولكن غناه كان لنفسه وليس لله، فمات دون أن يأخذ شيئاً مما كنز، وقد علَّق المسيح على هذا بقوله: «ليست حياة الإنسان من أمواله» (لو 12: 16–21). وينقل المؤمن ما تعلَّمه لغيره من المؤمنين، كما يعلّمه للخطاة راجياً توبتهم، فإنه «إن زاد الغِنى فلا تضعوا عليه قلباً» (مز 62: 10). «أوصِ الأغنياء في الدهر الحاضر ألاّ يستكبروا، ولا يلقوا رجاءهم على غير يقينية الغِنى، بل على الله الحي» (1تي 6: 17).

2 ـ وصف سلوك المؤمن:

(أ) **شخصية المؤمن**: «أما أنا فمثل زيتونة خضراء في بيت الله» (آية 8أ). فالمؤمن يحب بيت الرب ويريد أن يسكن فيه إلى مدى الأيام (مز 23: 6). ولا بد أن المرنم كان يفكر في شجرة زيتون مزروعة في ساحة الهيكل، فرآها، ورأى نفسه فيها:

* الزيتونة دائمة الخضرة: فالمؤمن كشجرة مغروسة عند المياه الجارية، تعطي ثمرها في أوانه، وورقها لا يذبل، وكل ما يصنعه ينجح (مز 1: 1–3. راجع إر 17: 7، 8).

* الزيتونة معمِّرة: تعيش الزيتونة مئة سنة أو أكثر. ولا بد أن الزيتونة المزروعة في فناء الهيكل تنال حراسة أفضل فتُعمِّر أكثر، لأنه لا يصيبها أذى. وهذا هو حال المؤمن. تنظر إلى الشرير فلا تجده، أما المؤمن فإن الله يمتعه بطول الأيام وعمقها.

* الزيتونة تعطينا الزيت: ليُستخدم في الإضاءة وإنارة الهيكل، ويقول الرب للمؤمنين: «أنتم نور العالم» (مت 5: 14).. كما كان الزيت يُضاف إلى التقدمات (لا 2: 1–7) ، ويقول بولس إنه يُسكب على ذبيحة إيمان المؤمنين (في 2: 17).. ويُستخدم الزيت كدواء (لو 10: 34) ، ويشفي المؤمن آلام الآخرين بكلمة حلوة يقولها تغيث المعيي (إش 50: 4) لأنها كالبلسم الشافي، تطيِّب القلب المجروح. والمتعلم من الله يعرف كيف يغيث بكلمة حكمة من عند الله. والمؤمن يُشبع الآخرين ويُنير لهم ويغيثهم، وهو رمز للسلام والنجاح. وحتى عندما يُعصَر يبارك ويضيء (في 1: 29).. واستُخدِم خشب شجرة الزيتون في صنع بعض أجزاء الهيكل (1مل 6: 23، 33)، والمؤمن كالزيتونة يبني بيت الله.. وحملت حمامة نوح ورقة زيتون عندما عادت من رحلتها الاستكشافية للأرض (تك 8: 11) لتحمل رمز السلام والاستقرار، والمؤمن يحمل دائماً في قلبه سلاماً للآخرين يفيض به عليهم، كما يحمل فمه أخباراً مفرحة، لأنه يسعى كسفير عن المسيح يطلب من الجميع أن يتصالحوا مع الله ومع بعضهم البعض، و«طوبى لصانعي السلام لأنهم أبناء الله يدعون» (مت 5: 9).. وترمز الزيتونة للنجاح، فيقول المرنم: «إمرأتك مثل كرمة مثمرة في جوانب بيتك. بنوك مثل غروس الزيتون حول مائدتك» (مز 128: 3).. واتَّخذ المسيح من أشجار الزيتون مخدعاً للصلاة في بستان جثسيماني، ركع تحتها.

(ب) اعتماد المؤمن: «توكَّلتُ على رحمة الله إلى الدهر والأبد» (آية 8ب). اعتمد المؤمن على الرب فرأى ما لا يُرى. إن عين الإيمان لا ترى فقط ما هو هنا والآن، ولكن ما لا يُرى وما هو آتٍ. اختار المسيح مجموعة تلاميذ ضعفاء لأنه كان يعلم ما سيكونون عليه عندما يملأهم روح الله، فينالون قوة ويكونون له شهوداً في أورشليم وفي كل مكان (أع 1: 8).

(ج) حمد المؤمن: «أحمدك إلى الدهر لأنك فعلتَ» (آية 9أ). المؤمن الذي يحب الله يشكر دائماً. فلنطوِّر حياة الشكر فينا قائلين: «باركي يا نفسي الرب ولا تنسي كل حسناته. باركي يا نفسي الرب وكل ما في باطني ليبارك اسمه القدوس» (مز 103: 1، 2).

(د) انتظار المؤمن: «وأنتظر اسمك فإنه صالح قدام أتقيائك» (آية 9ب). يعلن المرنم أمام كل الأتقياء أن الرب صالح، وأنه ينتظره بكل الثقة «ففي طريق أحكامك يا رب انتظرناك. إلى اسمك وإلى ذكرك شهوة النفس» (إش 26: 8). وانتظار المؤمن للرب ليس انتظار الخمول والكسل، بل انتظار العمل والأمل، لأنه وهو ينتظر يهيئ قلبه لينال البركة. عندما خرج ملوك إسرائيل ويهوذا وأدوم يحاربون، نسوا تدبير أمر المياه اللازمة لجيوشهم الثلاثة، فاستدعوا النبي أليشع، فقال لهم إن المياه ستأتيهم من أدوم، وطلب منهم تجهيز حُفر في الأرض لتخزين الماء فيها. ولم يضيِّع الملوك وقت الانتظار عبثاً، بل كلَّفوا الجنود بالحَفْر وهم لا يرون أي دليل على مجيء الماء، فكان انتظارهم إيجابياً، نال جزاءه عندما جاءت مياه المطر الذي تساقط في أدوم وملأ كل الحُفر التي سبق أن جهَّزوها (2مل 3: 16–18). وهكذا يجب أن ينتظر المؤمن الرب، عاملاً واجبه، متوقِّعاً بركة السماء.

اَلْمَزْمُورُ الثَّالِثُ وَالْخَمْسُونَ

انظر تعليقاتنا على مزمور 14 – فالمزموران متشابهان.

اَلْمَزْمُورُ الرَّابِعُ وَالْخَمْسُونَ

لإِمَامِ الْمُغَنِّينَ عَلَى ذَوَاتِ الأَوْتَارِ. قَصِيدَةٌ لِدَاوُدَ عِنْدَمَا أَتَى الزِّيفِيُّونَ وَقَالُوا لِشَاوُلَ: «أَلَيْسَ دَاوُدُ مُخْتَبِئاً عِنْدَنَا؟»

1اَللهُمَّ بِاسْمِكَ خَلِّصْنِي، وَبِقُوَّتِكَ احْكُمْ لِي. 2اسْمَعْ يَا اللهُ صَلاَتِي. اصْغَ إِلَى كَلاَمِ فَمِي، 3لأَنَّ غُرَبَاءَ قَدْ قَامُوا عَلَيَّ، وَعُتَاةً طَلَبُوا نَفْسِي. لَمْ يَجْعَلُوا اللهَ أَمَامَهُمْ. سِلاَهْ. 4هُوَذَا اللهُ مُعِينٌ لِي. الرَّبُّ بَيْنَ عَاضِدِي نَفْسِي. 5يَرْجِعُ الشَّرُّ عَلَى أَعْدَائِي. بِحَقِّكَ أَفْنِهِمْ. 6أَذْبَحُ لَكَ مُنْتَدِباً. أَحْمَدُ اسْمَكَ يَا رَبُّ لأَنَّهُ صَالِحٌ. 7لأَنَّهُ مِنْ كُلِّ ضِيقٍ نَجَّانِي، وَبِأَعْدَائِي رَأَتْ عَيْنِي.

غرباء قاموا عليَّ

هناك سبعة مزامير أطلق عليها القديس أغسطينوس اسم «مزامير الطريد» (هي 7، 34، 52، 54، 56، 57، 142) كتبها داود أثناء هروبه من مطاردات الملك شاول له، متنقِّلاً من بلد إلى بلد، ومن كهف إلى كهف، وحتى إلى بلاد الفلسطينيين. وقد كتب داود هذا المزمور عندما أبلغ الزيفيون شاول أن داود مختبئ عندهم، فطارده شاول ليقتله (1صم 23: 19). وقد اعتادت الكنيسة أن تقرأ هذا المزمور يوم الجمعة العظيمة.

في هذا المزمور نجد:

أولاً – صلاة لطلب الإنقاذ (آيات 1–3)

ثانياً – الثقة في العون الإلهي (آيات 4–7)

أولاً ـ صلاة لطلب الإنقاذ

(آيات 1-3)

1 - يرفع داود ثلاث طلبات: (آيتا 1 و2).

(أ) طلب الخلاص: «اللهم باسمك خلِّصني» (آية 1أ). يدل الاسم على القدرة، فاسم الشخص يحمل قدرته وسلطانه وصفاته المُعلَنة. ويتوجَّه المرنم إلى الله صاحب هذه الصفات العظيمة ليخلِّصه، فإن «اسم الرب برجٌ حصين، يركض إليه الصدِّيق ويتمنَّع» (أم 18: 10). «الرب إلهك في وسطك جبار يخلِّص» (صف 3: 17). والله يخلِّص الخاطئ بأن يمنحه الغفران (1تي 2: 4) ، والمجنون بأن ينقذه من الشياطين (لو 8: 36)، والمتضايق بأن يهبه الإنقاذ (مز 27: 1–3). فالخلاص شامل، يغطي كل نواحي حياة الإنسان، ولذلك طلب داود: «اللهم باسمك خلصني» من يد شاول والزيفيين الذين وشوا بي، وأرادوا أن يسلِّموني له (1صم 23: 19).

(ب) طلب العدالة: «بقوَّتك احكم لي» (آية 1ب). لجأ داود في هذه الطلبة إلى الله كقاضٍ أمين يحكم بعدالته، وينفِّذ أحكامه بقوته. كان داود واثقاً من براءته، ومتأكداً من ظلم شاول والزيفيين، فلجأ إلى الله لينقذه وينجّيه، عالماً أن

نجاة الله تأتي بقوة وبهدوء يذهلان الجميع، كما حدث مع بطرس الذي لم يصدِّق المؤمنون أنه نجا من سجن هيرودس (أع 12: 16).

(ج) طلب الاستجابة: «اسمع يا الله صلاتي. اصغَ إلى كلام فمي» (آية 2). لم تمنع الآلام ولا الضيقات داود من أن يلجأ إلى الله. كثيرون عندما يتضايقون يتذمرون أو يلومون الله ويمتنعون عن الحديث معه، أما الواثقون في محبته فيتقرَّبون إليه أكثر في وقت الضيق، كما في وقت النجاح، فهناك «هلاك يُفسد في الظهيرة» (مز 91: 6) عندما ينجح الإنسان، فيظن أنه قد ملَك مقادير نفسه، وأنه قادرٌ أن يسيِّر سفينة حياته بيده. فلنلجأ للصلاة وقت الفشل كما في وقت النجاح، لأنه «ينبغي أن يُصلَّى في كل حين ولا يُمل» (لو 18: 1). «صلوا بلا انقطاع» (1تس 5: 17). وليكن شعارنا: «أما أنا فصلاة» (مز 109: 4) فيكون لنا تواصل دائم بالله لا ينقطع أبداً، ولا نتوقف عن الحديث معه مهما كانت ظروف الحياة. ويطلب داود أن يصغي الله إلى كلمات فمه، بعد أن استجاب طلبته: «لتكن أقوال فمي وفكر قلبي مرضيَّةً أمامك يا رب، صخرتي ووليي» (مز 19: 14).

2 - ثلاثة أسباب لطلبات داود: (آية 3).

(أ) لأن أعداءه غرباء: «لأن غرباء قد قاموا عليَّ» (آية 3أ). لم يكن أهل برية زيف غرباء عن داود بحسب الجسد، فهم من سبط يهوذا، وأبناء عمومته. ولكنهم قاموا عليه لأنهم اغتربوا عنه بوقوفهم ضد قضيته، والوشاية به إلى شاول الذي من سبط بنيامين. وهذا ما فعله يهوذا الإسخريوطي الذي خان المسيح سيده ومعلّمه، فتمَّت النبوَّة «آكل خبزي رفع عليَّ عقبه» (مز 41: 9). وقال المسيح لتلاميذه: «سوف تُسلَّمون من الوالدين والإخوة والأقرباء والأصدقاء» (لو 21: 16). وكثيراً ما نتألم من أخٍ نتوقع منه المحبة فنجد منه الجفاء أو الخيانة، ونكتشف أن أعداء الإنسان أحياناً يكونون أهل بيته، لأنهم لا يدركون معنى إيمانه (مي 7: 6 ومت 10: 36).

(ب) لأن أعداءه ظالمون: «لأن عتاةً طلبوا نفسي» (آية 3ب). العتاة هم الظالمون، الذين لم يكتفوا بأن يغتربوا عنه، ولكنهم هاجموه في قسوة لم يتوقَّعها. لقد أنقذ داود أهل مدينة قعيلة من يد الأعداء، مع ذلك عزموا أن يسلِّموه إلى شاول. فهل يُكافأ الإحسان بالإساءة؟ ومع أن الزيفيين عرفوا بالإنقاذ الإلهي على يد داود، إلا أنهم أرادوا أن يسلِّموه لشاول! (1صم 23).

(ج) لأن أعداءه أشرار: «لم يجعلوا الله أمامهم» (آية 3ج). طلبوا نفس داود، ولم يدركوا خطة الله لحياتهم وحياته. وكل من يقاوم فاعل الخير، يقاوم أهداف الله، عن جهلٍ أو عن شر، ولذلك كانت أول كلمة للمسيح على الصليب: «يا أبتاه، اغفِر لهم، لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون» (لو 23: 34).

ثانياً - الثقة في العون الإلهي

(آيات 4-7)

في هذه الآيات الأربع يعلن داود ثقته في محبة الرب وعدالته، كما يعلن ثقته أن له صلة شخصية قديمة بالله.

1 - الثقة في محبة الله: «هوذا الله معين لي. الرب بين عاضدي نفسي» (آية 4). يعلن داود ثقته في الرب العاضد، الرافع، المعين، المساعد، الذي يهب النصر. ويدل وصف الله بأنه «معين» و«عاضد» على تعاطُف الله مع داود

وإحساسه بتجربته، كما قال المسيح للطرسوسي: «أنا يسوع الذي أنت تضطهده» (أع 9: 5). وكما قال إشعياء: «في كل ضيقهم تضايق وملاك حضرته خلَّصهم» (إش 63: 9). كما يدل الوصفان على ثقة داود في معونة الرب وإسناده. إنه يثق أن الرب سينصفه، لأنه إن كان الله معنا فمن علينا؟ (رو 8: 31). إن رحمته أفضل من الحياة (مز 63: 3) وهو يساعد داود بنفسه، كما أنه يكلّف بشراً أو ملائكة ليساعدوه. وكم منحنا الرب المساعدة عن طريق آبائنا، وشريك الحياة، ومرشدينا الذين يعلموننا كلمة الله، وكل من يقدِّم لنا كلمة أو خبراً مفرِّحاً عن الرب. **2 – الثقة في عدالة الله:** «يرجع الشر على أعدائي. بحقِّك أفنِهم» (آية 5). يثق داود في قانون العدالة السماوية، فمن يخطئ لا بد أن ينال عقوبته، وهو يلجأ إلى الله ليفعل هذا، عملاً بالوصية «لي النقمة والجزاء.. لأن الرب يدين شعبه، وعلى عبيده يشفق» (تث 32: 35، 36). **3 - الثقة في الصلة الشخصية بالله:** «أذبح لك مُنتدِباً. أحمد اسمك يا رب لأنه صالح» (آية 6). الانتداب هو ما يقدِّمه الإنسان لله طوعاً، والمعطي المسرور يحبه الله (2كو 9: 7). هناك ذبائح أمرت شريعة موسى بتقديمها، ولكن الذي يقدِّم ذبيحةً منتدِباً هو الذي يقدِّم غير المفروض عليه، وأكثر مما تأمر به الشريعة، ليشهد لصلاح الرب ورحمته معه، ويقول: «بروح منتدبة اعضُدني، فأعلِّم الأثَمةَ طرقك، والخطاةُ إليك يرجعون» (مز 51: 12، 13). وقد ورد ذكر هذا النوع من الذبائح في العدد 15: 3 ويسمّيه «نافلة».

4 - الثقة في خلاص الله: «لأنه من كل ضيقي نجاني، وبأعدائي رأت عيني» (آية 7). كم تعامل الله مع داود، وكم عاونه في كل المواقف السابقة، فوقف بينما سقط أعداؤه، وثبت بينما انهار مقاوموه. قال المسيح: «أليس عصفوران يُباعان بفلس، وواحدٌ منها لا يسقط على الأرض بدون أبيكم؟ وأما أنتم فحتى شعور رؤوسكم جميعها مُحصاة» (مت 10: 29، 30). فطوبى لمن يختبر خلاص الله لأنه «إذا سقط لا ينطرح، لأن الرب مُسنِدٌ يده» (مز 37: 24). فلنصل صلاة الواثقين متوقِّعين الانتصار. «انتظاراً انتظرت الرب فمال إليّ وسمع صراخي.. لأنه من كل ضيق نجّاني» (مز 40: 1 و54: 7).

اَلْمَزْمُورُ الْخَامِسُ وَالْخَمْسُونَ

لإِمَامِ الْمُغَنِّينَ عَلَى ذَوَاتِ الأَوْتَارِ. قَصِيدَةٌ لِدَاوُدَ

1اِصْغَ يَا اللهُ إِلَى صَلاَتِي، وَلاَ تَتَغَاضَ عَنْ تَضَرُّعِي. 2اِسْتَمِعْ لِي وَاسْتَجِبْ لِي. أَتَحَيَّرُ فِي كُرْبَتِي وَأَضْطَرِبُ 3مِنْ صَوْتِ الْعَدُوِّ، مِنْ قِبَلِ ظُلْمِ الشِّرِّيرِ. لأَنَّهُمْ يُحِيلُونَ عَلَيَّ إِثْماً، وَبِغَضَبٍ يَضْطَهِدُونَنِي. 4يَمْخَضُ قَلْبِي فِي دَاخِلِي، وَأَهْوَالُ الْمَوْتِ سَقَطَتْ عَلَيَّ. 5خَوْفٌ وَرَعْدَةٌ أَتَيَا عَلَيَّ، وَغَشِيَنِي رُعْبٌ. 6فَقُلْتُ: «لَيْتَ لِي جَنَاحاً كَالْحَمَامَةِ فَأَطِيرَ وَأَسْتَرِيحَ! 7هَئَنَذَا كُنْتُ أَبْعُدُ هَارِباً وَأَبِيتُ فِي الْبَرِّيَّةِ. سِلاَهْ. 8كُنْتُ أُسْرِعُ فِي نَجَاتِي مِنَ الرِّيحِ الْعَاصِفَةِ وَمِنَ النَّوْءِ».

9أَهْلِكْ يَا رَبُّ. فَرِّقْ أَلْسِنَتَهُمْ، لأَنِّي قَدْ رَأَيْتُ ظُلْماً وَخِصَاماً فِي الْمَدِينَةِ. 10نَهَاراً وَلَيْلاً يُحِيطُونَ بِهَا. عَلَى أَسْوَارِهَا وَإِثْمٌ وَمَشَقَّةٌ فِي وَسَطِهَا. 11مَفَاسِدُ فِي وَسَطِهَا، وَلاَ يَبْرَحُ مِنْ سَاحَتِهَا ظُلْمٌ وَغِشٌّ. 12لأَنَّهُ لَيْسَ عَدُوٌّ يُعَيِّرُنِي فَأَحْتَمِلَ. لَيْسَ مُبْغِضِي تَعَظَّمَ عَلَيَّ فَأَخْتَبِئَ مِنْهُ. 13بَلْ أَنْتَ إِنْسَانٌ عَدِيلِي، إِلْفِي وَصَدِيقِي، 14الَّذِي مَعَهُ كَانَتْ تَحْلُو لَنَا الْعِشْرَةُ. إِلَى بَيْتِ اللهِ كُنَّا نَذْهَبُ فِي الْجُمْهُورِ. 15لِيَبْغَتْهُمُ الْمَوْتُ. لِيَنْحَدِرُوا إِلَى الْهَاوِيَةِ أَحْيَاءً، لأَنَّ فِي مَسَاكِنِهِمْ فِي وَسَطِهِمْ شُرُوراً.

16أَمَّا أَنَا فَإِلَى اللهِ أَصْرُخُ، وَالرَّبُّ يُخَلِّصُنِي. 17مَسَاءً وَصَبَاحاً وَظُهْراً أَشْكُو وَأَنُوحُ، فَيَسْمَعُ صَوْتِي. 18فَدَى بِسَلاَمٍ نَفْسِي مِنْ قِتَالٍ عَلَيَّ، لأَنَّهُمْ بِكَثْرَةٍ كَانُوا حَوْلِي. 19يَسْمَعُ اللهُ فَيُذِلُّهُمْ، وَالْجَالِسُ مُنْذُ الْقِدَمِ. سِلاَهْ. الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ تَغَيُّرٌ، وَلاَ يَخَافُونَ اللهَ. 20أَلْقَى يَدَيْهِ عَلَى مُسَالِمِيهِ. نَقَضَ عَهْدَهُ. 21أَنْعَمُ مِنَ الزُّبْدَةِ فَمُهُ، وَقَلْبُهُ قِتَالٌ. أَلْيَنُ مِنَ الزَّيْتِ كَلِمَاتُهُ، وَهِيَ سُيُوفٌ مَسْلُولَةٌ.

22أَلْقِ عَلَى الرَّبِّ هَمَّكَ فَهُوَ يَعُولُكَ. لاَ يَدَعُ الصِّدِّيقَ يَتَزَعْزَعُ إِلَى الأَبَدِ. 23وَأَنْتَ يَا اللهُ تُحَدِّرُهُمْ إِلَى جُبِّ الْهَلاَكِ. رِجَالُ الدِّمَاءِ وَالْغِشِّ لاَ يَنْصُفُونَ أَيَّامَهُمْ. أَمَّا أَنَا فَأَتَّكِلُ عَلَيْكَ.

ليت لي جناحاً

يعبِّر هذا المزمور عن يأس داود وحزنه لأن صديقاً خانه، وقد يكون الصديق هو أخيتوفل الذي هجر داود وانضمَّ إلى ابنه أبشالوم يوم قام بانقلاب فاشل ضد أبيه (2صم 15: 10-37). وقد أطلق القديس إيرونيموس على هذا المزمور: «صوت المسيح ضد شيوخ اليهود وضد يهوذا الخائن».

في هذا المزمور نجد:

أولاً – صرخة نفس حزينة (آيات 1-8)

ثانياً – ذكريات نفس حزينة (آيات 9-15)

ثالثاً – ثقة نفس منتصرة (آيات 16-23)

أولاً ـ صرخة نفس حزينة

(آيات 1-8)

1 - صرخة داود: «اصغَ يا الله إلى صلاتي، ولا تتغاضَ عن تضرعي. استمع لي واستجب لي» (آية 1، 2أ). قال عالِم النفس إريك برن إن في داخل كلٍّ منا طفلاً، يصرخ عندما نواجه مشكلة أكبر منا لا نستطيع أن نعالجها بأنفسنا. وكطفلٍ خائف يبحث عن الأمان دعا داود الشخص الأقرب إلى نفسه (وهو الله) ليساعده، عالماً أنه لن يتأخر أبداً في مدِّ يد العون إليه، بل إنه سيعينه بقوة من عنده، كما سيرشده إلى الإمكانيات والمواهب الكامنة داخله، ويعبئها ويوجِّهها الوُجهة السليمة ليتمكن داود من الخروج من مأزقه، والقيام بعمل كل ما هو صالح.

2 - حزن داود: (آيات 2ب-5).

(أ) حزين حائر: «أتحيَّر في كربتي وأضطرب من صوت العدو، من قِبَل ظلم الشرير، لأنهم يُحيلون عليَّ إثماً، وبغضبٍ يضطهدونني» (آية 2ب، 3). أصابه الخوف بما يشبه الشلل، فعجز عن التفكير السليم، ولم يعُد قادراً على توظيف إمكانياته! كيف يقوم أبشالوم ابنه عليه؟ وكيف يساعد أخيتوفلُ الصديقُ المخلصُ هذا الابنَ العاق؟! أسئلة لم يجد داود لها إجابات مقنعة!

(ب) حزين خائف: «يمخض قلبي في داخلي، وأهوال الموت سقطت عليَّ. خوف ورعدة أتيا عليَّ، وغشيني رعبٌ» (آيتا 4، 5). ارتعب من أن شعبه رفضه، وخاف من المستقبل المجهول، ورأى أهوال الموت قادمةً عليه، وضاعت ثقته في نفسه، ولعله ظنَّ أن الرب رفضه.

3 - خواطر داود: «ليت لي جناحاً كالحمامة فأطير وأستريح. هأ نذا كنتُ أبعد هارباً وأبيت في البرية. كنت أسرع في نجاتي من الريح العاصفة ومن النَّوء» (آيات 6-8). أراد أن يكون كحمامة، رمز البراءة والضعف والطيران العالي. هرب داود بسرعة قبل أن يجيئه الموت على يدي أقرب الناس إليه، وهو ولده الذي انقلب عليه، تاركاً قصره وسلطانه، حافي القدمين، يسند رأسه على حرلكن رجلاً مثل داود لا يجب أن يهرب. ولقد جاز إرميا اختباراً مشابهاً فقال: «يا ليت رأسي ماء وعينيَّ ينبوع دموع، فأبكي نهاراً وليلاً قتلى بنت شعبي. يا ليت لي في البرية مبيت مسافرين، فأترك شعبي وأنطلق من عندهم لأنهم جميعاً زناة، جماعة خائنين، يمدّون ألسنتهم كقسيّهم للكذب، لا للحق قووا في الأرض» (إر 9: 1-3). و«بيت المسافرين» يشبه الفندق في الطريق الصحراوي بعيداً عن كل الناس. إلى هناك أراد إرميا أن يذهب، وإلى مكان بعيد أراد داود أن يهرب، بعيداً عن أبشالوم وعن أخيتوفل! ولكن ليس هذا هو الحل، فهذه رغبة عفوية، وليدة المشكلة والموقف! ولكن حالما يفكر داود في الأمر ملياً، وحالما يستريح في حضرة الله يقول ما قاله نحميا: «أرجلٌ مثلي يهرب!» (نح 6: 11). لقد رفع الله داود بالرغم من ثورة ابنه ضده وهجران أصحابه له. وأحسن هو استخدام الصعوبة فباركه الله من خلالها، فلم تعُد حملاً ثقيلاً عليه يسقط تحته. وشكراً لله لأن منتظري الرب «يجدِّدون قوة، يرفعون أجنحةً كالنسور. يركضون ولا يتعبون. يمشون ولا يعيون» (إش 40: 31).

ثانياً ـ ذكريات نفس حزينة

(آيات 9-15)

حاول داود أن يهرب من الواقع لمرارته، فرجع إلى ذكرياته، وتذكر شيئين:

1 - عاصمة ظالمة: (آيات 9-11). تذكر الشر والظلم الذي حلَّ بالعاصمة أورشليم بعد أن طُرد منها، فانتشر فيها النهب والسلب، وتفشَّت فيها الثورة ضد السلطة المدنية، والغش في التجارة، والظلم في الأحكام، حتى شَمَل الخراب كل شيء. «كيف صارت القرية الأمينة زانية؟.. كان العدل يبيت فيها، وأما الآن فالقاتلون» (إش 1: 21). ولا شك أن شيئاً من هذا كان يحدث أثناء وجود داود في أورشليم. فلو أن داود أنصف لوزَّع مسؤوليات القضاء على عدد كبير من القضاة في إسرائيل، ولم يدع كل صاحب حاجة يجيء إليه هو بمشكلته، مما جعل أبشالوم يستغل الموقف ويقول إن داود غير قادر على الإنصاف. وجدير بنا أن نتعلم كيف ننظم مسؤولياتنا فنوجِد مزيداً من المحبة، ونوقِف التصادم، فلا يتكرر ما حدث بين أبشالوم وأبيه، ويقلّ الظلم.

2 - أصدقاء ظالمون: (آيات 12-15).

(أ) **كان قريباً منه:** « لأنه ليس عدوٌّ يعيّرني فأحتمل. ليس مبغضي تعظم عليّ فأختبئ منه! بل أنت إنسان عديلي. إلفي وصديقي» (آيتا 12، 13). جاءت الخيانة من «إلفه» صاحب العِشرة الطويلة معه، ومن «صديقه» الذي كان يتفاهم معه، وليس من عدو له.

(ب) **كان مفرحاً له:** «معه كانت تحلو لنا العِشرة» (آية 14أ).

(ج) **كان عابداً معه:** «إلى بيت الله كنا نذهب في الجمهور» (آية 14ب). أفاضت العبادة على تلك الصداقة بُعداً روحياً مقدساً «فرحتُ بالقائلين لي: إلى بيت الرب نذهب» (مز 122: 1). ولكن ذلك الصديق ارتدَّ عن محبة الله ومحبة داود.

(د) **فطلب له العقاب:** (آية 15).

ثالثاً ـ ثقة نفس منتصرة

(آيات 16-23)

1 - وصف الثقة: (آيات 16-21).

(أ) **ثقة مستمرة:** «أما أنا فإلى الله أصرخ والرب يخلصني. مساءً وصباحاً وظهراً أشكو وأنوح فيسمع صوتي» (آيتا 16، 17). كان يحدِّث الله بانتظام مساءً وصباحاً وظهراً، واثقاً فيه، فانتصر. وكل من يدعو باسم الرب يخلص من خطاياه ومن كل ضيقاته (رو 10: 13). كان دانيال يصلي ثلاث مرات في اليوم (دا 6: 10)، وكان الرسول بطرس يصلي ظهراً (أع 10: 9). كان داود يصلي في المساء لأن أحداث الغد تبدأ من مساء اليوم السابق له، فيضع داود أمام الله مشاكل يومه وما جرى فيه، لينام بدون أن تختمر مشاكل أمسه في رأسه، فتدمِّر غده. وكان يصلي في الصباح ليبدأ يوماً جديداً بروح جديدة، ومحبة جديدة وغفران جديد. وكان يصلي في الظهر ليستمد قوة جديدة من الله، فلا تغرب الشمس على غيظه ولا يحتل إبليس مكاناً في قلبه (أف 4: 26، 27).

(ب) **ثقة فاهمة:** «فدى بسلامٍ نفسي من قتالٍ عليَّ، لأنهم بكثرة كانوا حولي. يسمع الله فيذلّهم والجالس منذ القِدم» (آيتا 18، 19أ). فدى الرب داود لأنه فاديه ووليُّ أمره، فنال السلام الذي يحفظ فكره وقلبه في الرب الجالس على

عرشه منذ القِدم. «ألستَ أنت منذ الأزل يا رب إلهي قدوسي؟» (حب 1: 12). يبني داود ثقته الحاضرة في الرب على أساس أعمال الرب في الماضي معه، ويبني المستقبل على كليهما.

(ج) ثقة بالرغم من الصعوبة: (آيات 19ب–21). لم يبن داود ثقته المنتصرة على سهولة موقفه، بل بالرغم من صعوبته. لم تكن في قلوب أعدائه رحمة، بل كانوا مخادعين منافقين. وبالرغم من ذلك أعلن داود ثقته الظافرة بالله.

2 - أساس الثقة: (آيتا 22، 23). أسَّس ثقته على أمرين:

(أ) إلقاء همه على الرب: «ألقِ على الرب همك فهو يعولك. لا يدع الصدِّيق يتزعزع إلى الأبد» (آية 22). «الهمُّ في قلب الرجل يحنيه» (أم 12: 25). ومن الغريب أن كلمة «همّ» في الأصل العبري تحمل معنى آخر هو «عطية أو هدية» فأحياناً يرسل الله لنا بركات من الألم. وكأن داود يدعونا أن نسلِّم للرب ما أعطاه لنا من نِعم، وما سمح لنا به من ألم، وأن نلقي نفوسنا وهمومنا عليه فيدبر أمرنا، لأنه يريد ويقدر أن يخلصنا من كل هم وضيق وتجربة. إنه الإله المتخصِّص في المستحيلات، وكل ما هو غير مستطاع عند الناس مستطاع عنده وحده (مت 19: 26). «ملقين كل همكم عليه لأنه هو يعتني بكم» (1بط 5: 7).

(ب) يعاقب الرب الخطاة: (آية 23).

هذا الإله الذي يعاقب الخاطئ هو موضوع ثقة داود، الذي يقول: «أما أنا فأتَّكل عليك».